

# دراسة الوحيدة الصوتية عند قدامى اللغويين العرب

تأليف

أ. د / عبد الحلیم محمد عبد الحلیم

الأستاذ المساعد

بيكلية الدراسات الاسلامية والعربية

للبنين - جامعة الأزهر

1  
2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عرفت الموسوعتان البريطانية والأمريكية اللغة بأنها :  
« نظام من الرموز الصوتية ، أو نظام من العلامات الصوتية  
الاصطلاحية ) (١) وعرفها فندريس بأنها : ( السمعية التي  
تسمى أيضا لغة الكلام أو اللغة الملفوظة ) ويوازي فندريس  
اللغة السمعية باللغة البصرية في قدم العهد فيقول : ( فليس  
لدينا ما يحملنا على الاعتقاد بأن احدهما متقدمة على  
الأخرى ، وأكثر من هذا ليس لدينا أية وسيلة للبرهان على  
ذلك ، وغالبية اللغات البصرية المستعملة اليوم مشتقة من  
اللغة السمعية ) (٢) .

واللغة عند ابن سيدة : ( صوت يعبر عن المعنى المتصور  
فى النفس ) (٣) وعند ابن جنى : ( أصوات يعبر بها كل قوم  
عن أغراضهم ) (٤) وهذه التعاريف كلها تتفق على أن اللغة  
أصوات مسموعة ولا شئ آخر سواها .

ولما كانت اللغة منذ عرفها الناس وسيلة اتصال بينهم  
يستحيل الاحتفاظ بها واثباتها بحالتها المسموعة عند النطق  
بها ، فقد اجتهدوا للاحتفاظ بها على نحو ما . قصورها

(١) الموسوعتان البريطانية والأمريكية عادة Language

(٢) اللغة لفندريس ص ٣٢ .

(٣) المخصص ج ١ ص ٦ .

(٤) الخصائص ج ١ ص ٣٣ .

مرة ، ورمزوا اليها بأشكال من عالم الطبيعة والأشياء مرة  
أخرى ، ونقشوا ذلك على الحجر والطين حيناً ، أو فى الحجر  
والعظام حيناً آخر ، والى أن اخترع الورق رسموها وكتبوا  
رموزها التى اصطلحوا عليها ، وصاروا يستعيدون ماهيتها  
بقراءتها كلما أرادوا ، ثم جاءت التقنية الحديثة بالاسطوانة ،  
ثم الشريط المسجل ، ثم الشريط المسجل والمرئى وسيلة لاثبات  
أحداث اللغة ووقائعها .

وهذا التعريف الذى قدمته الموسوعتان البريطانية  
والأمريكية للغة لم يذكر الغرض منها ، فاللغة انما هى رموز  
صوتية ، أو نظام من العلامات الصوتية .

وهذا التعريف يختص باللغة ظاهرة دون النظر الى  
وظيفتها ، ووظيفة اللغة منهج معروف فى تناولها والبحث  
فيها ، واتجاه هام فى دراسة اللغة ، ولهذا فان تعريف ابن  
جنى فى لفظه أولى التعاريف لاشتماله على عناصر الأحداث  
اللغوية ، ودليل على احاطة اللغويين العرب بدراساتهم  
فى ذلك العصر البعيد .

اننا اذا تأملنا تعريف ابن جنى للغة فى الفاظه ، وأجزاء  
عبارته وحلقاتها لنكشف عما وراء كل منها ، اتضحت لنا  
عناصر الأحداث اللغوية من جهة ، وعرفنا فهم اللغويين  
العرب للغة من جهة ثانية ، فاللغة : أصوات / يعبر بها كل  
قوم / عن أغراضهم . أول أجزاء التعريف هو : أصوات ،  
والأصوات يميزها السمع ولا يكون ذلك الا عن طريق الأذن ،  
وقد وصلتنا اللغة من هذا الطريق اذ أخذت عن أهلها  
سماعاً ، ونقلت مشافهة ، ورويت مسندة وزاد فى ضبطها

التقييد والكتابة<sup>(٥)</sup> على نحو تمثله كتابة المصاحف ورسمها، حتى ان ما نقل الينا كتابة يشعر بحرص كاتبها على السماع، فمن ذلك أن أبا زيد قال فى نوادره : ( سمعت أعرابيا من بنى تميم يقول : ( فلان كبرة ولد أبيه أى أكبرهم ) وقال أبو حاتم : ( وقى فى كتابى اكبرة ولد أبيه أى أكبرهم فلا أدرى أغلط هو أم صواب )<sup>(٦)</sup> . واذا كانت الكتابة لا يتعين معها نطق الكلام ، فان الكتابة العربية أقرب من سواها فى ضبط ذلك النطق والأداء عنها<sup>(٧)</sup> .

يقول ابن جنى عند ذكر الألف : ( وذلك أن واضع الخط أجراه فى هذا على اللفظ لأنه أصل للخط ، والخط فرع على اللفظ ، فلما رأهم قد توصلوا الى النطق بلا التعريف ، بأن قدموا قبلها ألفا نحو : الغلام والجارية ، لما لم يمكن الابتداء باللام الساكنة كذلك أيضا ، قدم قبل الألف فى ( لا ) لاما توصلوا الى النطق بالألف الساكنة ، فكان فى ذلك ضرب من المعارضة بين الحرفين )<sup>(٨)</sup> .

وقد ميز أهل هذه اللغة بين الأصوات والحروف ، بل ان تمييزهم هذا شمل تعدد الصوت الواحد أو ما يعرف اليوم بالفونيم<sup>(٩)</sup> تقول ايذا وارد ( iad ) فى تعريف

(٥) المخصص ج ١ ص ١٣ .

(٦) المزهر ج ١ ص ١٦٩ .

(٧) مجلة اللسانيات - المجلد الأول - الجزء الثانى .

(٨) سر صناعة الاعراب ج ١ ص ٥٠ .

(٩) انظر علم اللغة . مقدمة للقارىء العربى ص ١٥٩ ( هامش ) .

الفونيم : ( الفونيم : عائلة من الأصوات فى لغة من اللغات وهذه الأصوات مترابطة فى طبيعتها ، ومن صفتها أنه لا يقع صوت منها قط فى نفس السياق الصوتى فى كلمة من الكلمات موضع صوت آخر من نفس العائلة ) ومعنى هذا أن الكلام أن الكافات فى KEEN. GOULD. CAN أفراد فونيم واحد وليست فونيمات ثلاثة • ان كلامها صوت متميز من حيث التكوين ، ومن حيث الأثر السمعى ، ولكن هذه الأصوات الثلاثة مع ذلك لا يحدث بينها تبادل يغير المعنى (١٠) .  
ذكر ذلك ابن جنى فى القرن الرابع الهجرى فقال : ( وليس غرضنا فى هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لأن ذلك كان يقود الى استيعاب جميع اللغة ، وهذا مما يطول جدا ، وليس عليه عقدنا الكتاب ، وانما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف منفردة ، أو منتزعة من أبنية الكلم التى هى مصوغة فيها ، لما يخصها من القول فى أنفسها ) (١١) • بل انهم سبقوا الى تحليل لغوى لأصغر وحدات اللغة ، مما حمل بعض علماء اللغة والمؤرخين لعلمها أن يعترفوا بوجود هذا العلم فى الأصوات ، وبأنه علم فذ ممتاز ، لم يكن له مثيل فى أوربا طوال العصر الوسيط (١٢) • وحمل بعضا آخر على أن يفترض

(١٠) وانظر أيضا :

The phonetico of English, Cambridgs. w. Hsffer and Sons- word ida, P. 74

(١١) سر صناعة الاعراب ج ١ ص ٤ ، وانظر المزهج ج ١ ص ٢٦ •

(١٢) تاريخ علم اللغة ص ١٠٧ •

اقتباسا عن حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة  
كالحضارة الاغريقية والهندوسية .

فقد أشار ( فولرز ) الى وجود تشابه بين جهود (بانيتى)  
الذى يمثل فترة النضج فى الدراسات النحوية عند الهنود  
( ٧٠٠ - ٦٠٠ ق م ) وجهود العرب الصوتية ، ولا سيما  
الجيل الأول من لغويى العرب كالخليل مثالا . الا أن  
بيروكلمان اعتبر جهد العرب ظاهرة مهمة بذاتها بعد أن تضى  
عن وجهة النظر التى ذكرها ( فولرز ) (١٣) .

وتعريف ابن جنى اللغة بأنها أصوات ، يدفعنا الى  
التساؤل : أى أصوات هى ؟ أهى أصوات اللغة الفصحى  
فى عهد ابن جنى التى كان قراء القرآن الكريم يرتلون بها  
آياته ، وينشدون بها الشعر ؟ أو أصوات اللغة التى كانت  
قبل زمانه ، وكيف كان نطق تلك الأصوات ؟ وهل كان نطقها  
مختلفا فى عصر ابن جنى عنه فى العصر الذى قبله ؟  
وما مقدار اختلافه ؟ .

لقد جاء ذكر اختلاف بعض أصوات اللغة العربية  
كالضاد والظاء والكاف والقاف مثلا ، ولم تزل أصوات  
أخرى تتعرض لهذا الاختلاف ، فأى الأصوات تختار ونحن  
أزاء عدة أصوات منها ؟ : أصوات الفصحى المتمثلة فى  
تلاوة القرآن الكريم وانشاد الشعر وقراءة الخطب ؟  
أو أصوات الفصيحة المشتركة التى نشأت حديثا ولم تزل  
تتكامل ، وأغلبها ليست بعيدة عن الفصحى الأولى ، أو

أصوات اللهجات المتمثلة فى كلام أهل كل قطر عربى ؟ ان  
الأخذ بأصوات الفصحى الأولى وحدها اغفال لعنصر التطور  
فى اللغة ، ومخالفة لمنهج علم اللغة الحديث الذى من شأنه  
أن يبحث فى لغة الحياة والتعامل فى شتى بيئات المتكلمين  
بها ، وأن الأخذ بأصوات اللهجات ، أو الاقتصار على لهجة  
معينة ، أو اختيار أصوات من اللهجات جميعا ، انقطاع عن  
كل من الفصحى والفصيحة فى مستوييهما ، وبعد عن مثل  
الأمة فى وحدتها ، وفى الأخذ بأصوات الفصيحة المشتركة  
قبول لبعض التطور الذى سوف يزداد تأثيره فى هذا الجانب  
أو ذاك من اللغة ، وتمهيد لتطور أكبر يمكن أن يقع فيما بعد ،  
وهذا يضعنا أمام اختيار صعب ومحير ، ولكن الحزم وواقع  
الأمر يدفعنا الى أن نساير تطور البحث ومناهجه فى علم  
اللغة ، وأن يجنبنا مزالق الخطر فى انشعاب اللهجات ، وهو  
فرقة الأمة وانقسامها ، وأن نفيد من نتائج البحث فى  
الفصيحة والعامية ، وقيم الفصيحة وخصائصها ، وهذا  
يدفعنا الى اختيار أصوات الفصيحة بوجهيها مراعين ظاهرة  
التطور وقوانينه ، مستفيدين من نتائج البحث اللغوى ،  
ومناهجه فى دراسة الأصوات ، مدركين أن الخلاف فى هذا  
الجانب من اللغة ليس راجعا الى ذات اللغة وتقسيمها فى  
الأداء عن حاجة أصحابها ، ولكن الى أسلوب تعلمها وقيمتها  
الأداء عن حاجة أصحابها ، ولكن الى أسلوب تعلمها وقيمتها  
واصطلاح ( أصوات ) له معنى مزدوج : اذ يشير  
أولهما الى الجانب الصوتى من اللغة المتمثل فى فيزيائية  
الصوت وصفاته العضوية ، يتضح هذا فى كلام مكى ابن



أبى طالب على صوت القاف (١٤) ، اذ يحدد مخرجه وكيفية حدوثه ، ويذكر صفاته التى تميزه من كل الأصوات ، ويشير ثانيهما الى أثر هذا الصوت بين غيره من الأصوات التى تشاركه فى صوغ الألفاظ ، يتضح ذلك أيضا فى كلام مكى على الصوت من حيث تفخيمه وتبيينه واطهاره وادغامه ، وهذا يشكل مستويين فى دراسة الأصوات اللغوية :

الأول : يبدو فيما ذكره مكى من كلامه على صوت القاف أولا ، اذ درسه من حيث مخرجه ، فعينه وذكر كيفية حدوثه ، وصفاته ، وهذا ما يسميه علم اللغة الحديث : دراسة الأصوات ومصطلحه فى اللغة الانجليزية Phonetics<sup>١٥</sup> ولفظه فى العربية هو : الفوناتيک .

أما الثانى : فيبدو فى كلام مكى أيضا عند حديثه على صوت القاف من حيث أثره فى الأصوات التى تشاركه فى صيغ الألفاظ وأثرها فيه ، وما روعى من النطق به فى كل موضع . ذكر الدكتور كمال بشر هذين المستويين عند بحث الأصوات ومنهجه فقال : انهما خطوتان متلازمتان ، لأن مادتهما واحدة ، وهدفهما واحد ، والفرق فى المنهج ، ولكن ينبغى ألا يفصل بينهما ، لأن الأحداث اللغوية مؤتلفة لا تقع الا كذلك ، وليس الفصل بينهما الا عند دراسة مستوى من مستويات اللغة المعروفة (١٥) .

ان أروع ما تم فى القرن الأول للهجرة النبوية الشريفة

(١٤) الرعاية لتجويد القراءة ص ١٤٥

(١٥) علم اللغة العام - الأصوات ص ٧٤

أبى فى القرن السابع الميلادى ما تمثل فيما فعله أبو الأسود  
الدولى من وضعه المصوتات الصغرى أى الحركات ، وهو  
ما اشتهر اليوم مثلها فى اللغات الأوربية الراقية ، ولاسيما  
الانكليزية والفرنسية والألمانية ، وسميت ( الحركات  
المعيارية ) وذلك بعد قصة وقعت لأبى الأسود الدولى مع  
عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومع زياد بن أبى سفيان  
وهى مروية بأسانيد فى عدة مصادر <sup>(١٦)</sup> . وأجسب أن أحدا  
من الناس فى ذلك العصر المتقدم لم يسبق أبى الأسود الى  
هذا العمل الرائع غير ما كان للهنود من عناية فى ضبط تلاوة  
كتابهم المقدس ( الفيدا ) وشأن النفس ، ومقاطع الأصوات  
فى ذلك حتى تأتى لهم أن يقدموا عملا متقنا للغتهم المتمثلة  
فى تلاة كتابهم <sup>(١٧)</sup> . ومثل عمل أبى الأسود لا بد أن تكون قد  
سبقته خطوات يسرت لأبى الأسود أن ينتفع بها فى وضعه  
تلك الحركات على هذا النحو المبين فى كتب نقط المصاحف .  
وهذه الوقائع بنصها وحرفيتها وروحها ثم مثلها فيما وضعه  
الانجليزى المعاصر ( دانيال جونز ) من حركات معيارية  
وضمنها كتابه الذى صدر أواخر الربع الأول من القرن  
العشرين <sup>(١٨)</sup> .

(١٦) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٦ ومراتب النحويين ص ١٠

مراخييار النحويين البصريين ص ١٦ وايضاح الوقف والابتداء ص ٣٦  
هوانباه الرواة ج ١ ص ١٦ .

(١٧) البحث اللغوى عند العرب ص ٦٢ .

(١٨) An outline of English phonetics P. 29 .

هذا الجانب نفسه الذى انصرفت اليه عناية أبى الأسود الدؤلى عندما نقط المصحف ، اذ اتخذ الشفتين وسيلة فى تعيين المصوتات يماثل اليوم ما قام به اللغوى الانجليزى ( دانيل جونز ) فى استخلاص الحركات المعيارية ، فقد أضاف جونز الى ملاحظة أبى الأسود وضع اللسان فى الفم وعلاقته بالحنك الأعلى ، من حيث نوع التصديق وحجمه وشكله الذى يوجد بين اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى ، ومن حيث الجزء المتحرك من اللسان ، ومن حيث اتجاه الحركة وطبيعة الفراغات الأمامية والخلفية .

يقول أبو الأسود الدؤلى للرجل العبقسى الذى تخيره (١٩) :  
( خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فاذا فتحت شفتى فانقط نقطة وحدة فوق الحرف ، واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، واذا كسرتها فاجعل النقطة فى أسفله ، فاذا أتبعته شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ) وقد يسرت له الوقائع الجديدة لتلاوة القرآن الكريم أن يستخلص هذه العلامات ، والحجة فى ذلك وجوه اختلاف جمع المذكر السالم ، وتثنية الاسم ، والأسماء الستة والتنوين ، وكذلك النون بآخر جمع المذكر والمثنى ، وان كان من المحتمل أن يكون تنقيط أبى الأسود شمل مواقع أخرى من اللفظ .

وجاء من بعد أبى الأسود لغويو العرب ، فوصفوا لغتهم الوصف الدقيق الذى لم يكن له مثيل مدى عشرة قرون فى

(١٩) ايضاح الوقف والابتداء ص ٤١ والبيان والتبيين ج ٤

أوروبا ، ولاسيما فى نتاج مدرستى البصرة والكوفة ، حتى ذهب بعض الباحثين من المستشرقين الى أن جهدهم ذلك أهتدوا فيه بمن سبقهم الى مثله كالهنود ، بيد أن آخرين دحضوا ذلك وردوه .

وفيما كتبه بعد ذلك مثل ابن جنى والزجاج وابن السراج وغيرهم ، ولاسيما تعليل القراءات شىء يستحق التوقف والنظر لما فيه من خصائص التفكير اللغوى الدقيق . وما زالت كتب التراث العربى تحتفظ بكل هذه الآثار التى خلفها لغويو العرب ولم يطلع على هذا التراث الكثيرون ممن يتصدون لتاريخ العلوم ممن لهم عناية بالأصوات عند غير أمتهم ، وفى غير لغتهم . وبين جهود العرب والهنود مشابهة قوية ، غير أن تصنيف الهنود للأصوات ظل مقطوعا بحسب نطقها الذى اعتمد النفس عند قراءة كتابهم المقدس .

أما تصنيف العرب للأصوات فيقتصر على الصوت وحده ، وسيبويه الذى عد أصواتا تزيد على المستعمل الغالب فى كتابه (٢٠) ، انما كان يريد أن يستقصى ذلك فى كل حالات النطق ، دون أن يجعل هو ولا سواه ممن تابعوه أو بحثوا فى الأصوات نطقها مقطوعا ، وللعرب عناية معجبة باللغات الأجنبية ، ولولا ذلك لما تابعوا ما بدأه بعض أهل تلك اللغات التى عرفوها من فارسية ورومية وهندية ، وأسلوب المقارنة بين أصوات العربية وغيرها من اللغات

الأجنبية نرى أمثلة منه لا حصر لها في كتب اللغة والأدب والمعاجم ، وهي خير دليل على ذلك (٢١) ، وهي على حالها إلى اليوم ، وللعرب آثار كثيرة تفيد قيامهم بهذا الأسلوب دون أن يكون لهم اطلاع على علوم أخرى . وذلك واضح في كلامهم على الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية من اللغات السامية والفارسية والرومية ، وأمثلة ذلك منتشرة في كتب التراث ، وكذا كلامهم على بعض التعابير والصيغ (٢٢) .

ويحتاج هذا إلى تتبع وجمع لما تفرق في كتب التراث .  
ليمكن الحديث عنه وعرضه في استفاضة .

والنظر في ترتيب أصوات اللغة عند الخليل وسيبويه وعند علماء القراءات يدل دلالة قاطعة على ما ذهب إليه علماء اللغة المحدثون في تعيين مخارج الأصوات ، وخصائص تلك المخارج ، وبعض أعضاء النطق مثل الحنجرة ، ففي ذلك قال أبو نصر الفارابي : ( وعلم قوانين الألفاظ المفردة : يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها ، ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت ، وعن المصوت منها وغير المصوت ، وعمما يتركب منها في ذلك اللسان وعمما لا يتركب ) (٢٣) . وذكر أبو على مسكويه عدة الحروف واختلاف مطالعها ثم عينها بقوله : ( وذلك من أدنى الرئة

---

(٢١) الفهرست لابن النديم ص ٣٢ وفقه اللغة وسر العربية

ص ٤٥٠ .

(٢٢) انظر المعرب للجواليقي وفقه اللغة وسر العربية ص ٤٥٠ .

(٢٣) احصاء العلوم ص ٦ .

الى أدينى الفم ، على ما قسمه أصحاب اللغة وبينه الخليل وغيره ، وعلى خلاف بينهم فى مخارجها ومواضعها (٢٤) .  
وذكر ابن الجزرى الاختلاف فى عدة المخارج فجعلها عند المحققين وسمى طائفة منهم الخليل بن أحمد ومكى بن أبى طالب ولأهدلى وأبو الحسن شريح سبعة عشر ، وذكر أنه الصحيح المختار (٢٥) ، وذكر مكى بن أبى طالب أن قطربا والجرمى والقراء وابن دريد عدوها أربعة عشر (٢٦) ، فهذا الاختلاف بين هؤلاء حجة قاطعة على أن النتائج التى بلغوها تقتضى احاطتهم بأعضاء النطق ، وكيفية حدوث الصوت ودقة تعيين كل مخرج ، وهذا واضح فى ترك المبرد لصوت الألف ، وذكر الفارابى آلات التصويت ، والفروق بين الحروف المصوتة وغير المصوتة ، أى الصامتة والصائبة ، وذكر ابن مسكويه لحدود مخارج الأصوات فى جهاز النطق ، وذكر ابن الجزرى ومكى لاختلاف أهل اللغة والقراء فى عدة المخارج ، فأما ابن الجزرى ومن كان على رأيه وقوله ان المخارج سبعة عشر ، فخالفهم فى مخرج سموه : ( مخرج الجوف ) جعلوه لأحرف المد واللين ، أى الألف والواو ما قبلها ضمة ، والياء ما قبلها كسرة ، وألحق الخليل بها الهمزة لأنها تخرج أيضا من الجوف ، وأما قطرب ومن وافقه فعدة المخارج عنده أربعة عشر ، وأسقطوا ثلاثة مخارج

(٢٤) الهوامل والشوامل ص ٢١ .

(٢٥) النشر ج ١ ص ١٩٨ .

(٢٦) الرعاية لتجويد القراءة ص ٢١٧ .

لأصوات : النون والراء واللام ، وجعلوا هذه الأصوات من مخرج واحد هو طرف اللسان .

وأما سيبويه ومن تابعه فعدة المخرج ستة عشر ، وجعلوا أصوات المد واللين ملحقة بمخارج مناسبة لها ، فالألف من أقصى الحنك ، والواو تابعة لصنوت الواو المتحركة ، والياء ملحقة بالياء المتحركة ، وأصوات الفصيحة اليوم لم تزل مخارجها قريبة من فصيحة التراث في أغلبها ، كما أن أكثر الأصوات الصامتة في لغتنا تقارب مثلها في اللغة الانجليزية (٢٧) .

وأقرب ترتيب لأصوات الحروف ما نجده عند سيبويه ومن وافقه ، وهى عند ابن جنى - تلميذ سيبويه - هكذا :  
الهمزة / والألف / والهاء / والعين والحاء / والغين والخاء / والقاف والكاف / والجيم والشين والياء / والضاد / واللام / والراء / والنون / والطاء والذال والتاء / والصاد والزاي والسين / والطاء والذال والتاء / والفاء والباء والميم والواو / والغنة أو النون الخفيفة .  
ونلاحظ على هذا الترتيب أن ابن جنى قدم القاف على الكاف مخالفا ترتيب أستاذه سيبويه ، كما أخرج الضاد عن الجيم والشين والياء (٢٨) . وقال ابن جنى معقبا على ترتيبه

---

(٢٧) انظر الأصوات اللغوية د/ ابراهيم أنيس ص ٧٥ ، ٧٧ .

٧٩ ، ٨٠ .

(٢٨) انظر الكتاب لسيبويه ج ٤ ص ٤٣١ ، وجاء فى ص ٤٣٣ من

نفس الجزء الرابع من كتاب سيبويه تأخير الألف عن الهاء ، هكذا : الهمزة والهاء - الألف .

( م ١٤ - حولية كلية الدراسات )

للحروف في كتابه سر صناعة الاعراب : ( فهذا هو ترتيب  
الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح ) (٢٩) .  
وبين من أخذ بهذا الترتيب خلاف يظهر في ترتيب  
أصوات المخرج الواحد كمثل اختلافهم في أصوات مخرجي  
العادي عشر والثاني عشر ، أي أصوات حروف الطاء  
والدال والتاء ، وأصوات حروف الصاد والزاي والسين ،  
واختلافهم في مخارج أصوات اللام والراء والنون (٣٠) .  
وعرض ابن جنى لهذا الخلاف معينا مخارج الأصوات فقال :  
( اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر : ثلاثة منها في  
الحلق ، فأولها من أسفله الى أقصاه مخرج الهمزة والألف  
والهاء ، هكذا يقول سيبويه ، وزعم أبو الحسن أن ترتيبها :  
الهمزة ، وذهب الى أن الهاء مع الألف ، لا قبلها ولا بعدها ،  
والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى  
حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها الى أسفل  
فقبلتها همزة ، ولو كانت الهاء معك لقبلتها هاء ، وهذا  
واضح غير خفي ، ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء ،  
ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الفين والحاء ، ومما فوق  
ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف ، ومن أسفل من ذلك  
وأدنى الى مقدم الفم مخرج الكاف . ومن وسط اللسان بينه  
وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ، ومن  
أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ،  
إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من

(٢٩) سر صناعة الاعراب ج ١ ص ٥٠ .

(٣٠) ابن جنى العربية ص ٤٢ .



الجانب الأيسر ، ومن هافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضاحك والنباب والرباعية والثنية مخرج اللام ، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا ، لانحرافه الى اللام مخرج الراء . ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والطاء ، ومما بين طرف الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين ، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والطاء . ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء ، ومما بين الشفتين مخرج الياء والميم والواو ، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة ، ويقال : الخفيفة أى الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا ) . ولكن هذا لا يلزمنا ترك ملاحظة التطور في كل صوت ومخرجه ، سواء أكان عند المتقدمين أم وقع بعد ذلك حتى زماننا هذا ، والانتفاع به في تقدير حقيقة أو صفة أو حالة أو قاعدة توضح أمرا ذا بال .

ذكر الخليل أن الهمزة هوائية ، لذلك جعلها مع الواو والياء والألف اللينة ، ويرى بعض علماء اللغة المحدثين (٣١) أن الخليل لم يعرف مخرجها وأن في كلامه عليه ما يشعر بالاضطراب فيها ، وعرض كلام الخليل على وصف حدوث صوتها يوضح قوله الذي أرى أنه يتمثل في أن الهواء يسبب حدوثها في وضع الوترين الصوتيين على نحو ما وصف من

(٣١) علم اللغة العام - الأصوات ص ١٤٢

أمرهما قبل اندفاع النفس بصوتها ، وقد جاءت عبارة الخليل عن ذلك على طريق التجوز . والمحدثون ينسبونهما إلى الحنجرة وهي موضع انحباس النفس الذي يحدثها ، وهو نفس الوصف الذي ذكره الخليل لها . وعلماء اللغة في الغرب يسمونها : الوقفة الحنجرية *glottal stop* وتحدث عندهم في بعض الحالات النفسية كالغضب والمفاجأة عند التلطف بالكلمات الآتية : *Elsa , Again* . وقد أفاضت كتب علل القراءة في تعداد الظواهر المتعلقة بالهمزة لأهميتها في علم القراءة وتلقيها على الأستاذ وما تحتاج من المتعلم من جهد ودقة في استيعابها وفهمها ، وذلك أن الاخلال بها وفي ضبطها عند القراءة لآي القرآن الكريم يوقع في تغيير المضمون ، ويحيد عن نطق اللفظ المألوف . وكل صوت من أصوات اللغة يختلف موقعه من اللفظ بحسب صيغته ، فهو فاء مثل الراء في رسم وعين مثل الراء في مرض ، ولام مثل الراء في عبر ، وهذا الاختلاف في موقع الصوت يغير في خصائصه ويؤثر فيه ، ومن ثم فانه ينشأ منه عدة أصوات متباينة في السمع ، ولهذا تباين استعمال الصوت الواحد في صيغ الكلام ألفاظا وجملا ، وكلام دانيال جونز عن الفرق بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائبة يمهد لمضمون هذا ، فهو يذكر ثلاث خصائص لذلك الفرق هي : طول الصوت ونبره ، ونغمته (٣٢) . وإذا رجعنا إلى ما ذكره ابن جنى حول موقع الصوت رأينا حديثا معجبا

بوصفا دقيقا اذ يقول : ان الصوت ( المتحرك (٣٣) حشوا  
ليس كالمحرك أولا ، أولا ترى الى صحة جواز تخفيف الهمزة  
حشوا ، وامتناع جواز تخفيفها أولا ، واذا اختلفت احوال  
الحروف حسن التأليف ، وأما ان كانت عين الثلاثى ساكنة  
فحديثها غير هذا ، وذلك أن العين اذا كانت ساكنة فليس  
سكونها كسكون اللام ، وسأوضح لك حقيقة ذلك لتعجب من  
لطف غموضه ، وذلك أن الحرف الساكن ليست حاله اذا  
أدرجته الى ما بعده كحاله لو وقفت عليه ، وذلك لأن من  
الجروف حروفا اذا وقفت عليها لحقها صوت مامن بعدها ،  
فإذا أدرجتها الى ما بعدها ، ضعف ذلك الصوت وتضاءل  
للحس نحو قولك : أح • أص • أث • أف • أك ، فإذا قلت :  
يحرد ، ويصبر ، ويسلم ، ويثرد ويفتح ، ويخرج خفى ذلك  
الصوت وقيل وخف ما كان له من الجرس عند الوقوف  
عليه • وقد تقدم سيبويه فى هذا المعنى بما هو معلوم  
واضح • وسبب ذلك عندى أنك اذا وقفت عليه ولم تتطاول  
الى النطق بحرف آخر من بعده تلبث عليه ، ولم تسرع  
الانتقال عنه فقدرت بتلك اللبثة على اتباع ذلك الصوت اياه ،  
فأما اذا تأهبت للنطق بما بعده وتهيأت له ، ونشحت فيه ،  
فقد حال ذلك بينك وبين الوقفة التى يتمكن فيها من اشباع  
ذلك الصوت ، فيستهلك ادراجك اياه طرفا من الصوت الذى  
كان الوقف يقره عليه ويسوغك امدادك اياه به ) • فللصوت  
بحسب اختلاف موقعه من الصيغة عدة وجوه من النطق

(٣٣) الخصائص ج ١ ص ٥٧ وانظر أيضا :

يجمعها كلها الصوت نفسه ، ويعرف هذا فى اصطلاح علم اللغة اليوم بالفونيم أى وحدة الصوت أو الصوت ذو النطق المتعدد . واختلاف مخارج الأصوات وتعدد صفات الأصوات ثم تأليف الكلام منها يوجب مثل هذه الظاهرة ، وما بين الأصوات من مشابهة ومماثلة أو وجد سلسلة من الألفاظ التى ترجع الى الاختلاف اللهجى وسياق النص ، وائتلاف الكلام ، وبقي أثر هذه الظاهرة فى الصوت اللغوى عند صياغته فى اللفظ والجملة (٣٤) .

وإذا أمكن أن يعد اللغويون وحدات هذه الأصوات قيما نسميه اليوم بحروف الهجاء ، وأن يبلغوا بها نيفا وأربعين ، ما بين مطرد الاستعمال وشاذه فان البحث فى كل وحدة منها وهى مركبة فى صيغ الكلام قريب من الاستحالة ( لأن ذلك كان يقود الى استيعاب جميع اللغة ) (٣٥) بيد أن كثيرا من ظواهرها عرض له الدرس اللغوى فتناوله علماء القراءات فى الادغام والامالة وكثير من بحوث تجويد القرآن الكريم .

ولابن جنى قدرة فذة على استنباط ومعرفة قدرة كل وحدة صوتية فى كثير من ظواهرها ، اذ يرى أن جانبا من الاختلاف فى الوحدة الصوتية صيغة انما يرجع الى قدرة النطق التى تبدأ قوية ، وتأخذ فى الاضمحلال ، لما عرض للنفس من استهلاك الأصوات له (٣٦) ، وهذا يعنى أن أول

An outline of English Phonetics (٣٤)

(٣٥) سر صناعة الاعراب ج ١ ص ٤

(٣٦) الخصائص ج ١ ص ٢٢٢

اللفظ يكون أوضح من أجزائه التي تتلوه ، أى أن الوحدة الصوتية فى اللفظ والعبارة لها من الوضوح والقوة بحسب موقعها ، ولاختلاف الحركات التى تصحب الوحدة الصوتية وتلحقها وتسبقها أثر فى قوة تلك الوحدة أو ضعفها ، وفى وضوحها أو غموضها ، ولا يقع هذا التأثير فى الوحدة الصوتية وهى مفردة ، ولكن فى حال ائتلافها مع سواها فى بنى اللغة ، أى وهى مصوغة سواء فى ألفاظ أو جمل ، فمن ذلك أن ( مثال فعل أعدل الأبنية حتى كثر وشاع وانتشر ، وذلك أن فتحة الفاء وسكون العين واسكان اللام أحوال مع اختلافها متقاربة ، ألا ترى الى مضارعة الفتحة للسكون فى أشياء ، منها : أن كل واحد منها يهرب اليه مما هو أثقل منه نحو قولك فى جمع فعله وفعله : فعلات يضم العين ، نحو : عزفات وفعالن بكسرهما نحو كسرات ثم يستثقل توالى الضميتين والكسرتين فيهرب عنها تارة الى الفتح فتقول : غرفات وكسرات ، وأخرى الى السكون فتقول : غرفات وكسرات ) (٣٧) وعلى هذا كان مبنى اللغة ، وربما تنكب مستعملو اللغة بعض ذلك ، فحركوا ما هو ساكن أو سكنوا ما هو متحرك لغرض واضح مثل : ( أسكانهم نحو رسل وعجز وعض وظرف وكرم وعلم وكتف وكبد وعصر .. فهل هذا ونحوه الا لانعامهم النظر فى هذا القدر اليسير المختصر من الأصوات ، فكيف بما فوقه من الحروف التوام ، بل الكلمة من جملة الكلام ) (٣٨)

• (٣٧) الخصائص ج ١ ص ٥٩

• (٣٨) الخصائص ج ١ ص ٧٥

ولا تقتصر الوظيفة اللغوية فى العربية على اللفظة أى الكلمة أو ما هو قريب منها وفى معناها ، مثل حروف المعانى ، أو على الجملة أو العبارة تؤديان غرضاً وتتضمنان حدثاً لغوياً ولكنها تتجاوز الى حروف المباني فى كثير من صيغها ، فهذه الحروف فى كثير من أحوالها تؤدى وظيفة ، وهو شىء ملاحظ مشهور . ( وعلى هذا حشوا بحروف المعانى فحسبوا بكونها حشوا ، وأمنوا عليها ما لا يؤمن على الأطراف المعرضة للحذف والاحفاف . وذلك كالف التفسير ، وياء التصغير نحو دراهم ودرهم وقماطر وقميطر ، فجرت فى ذلك لكونها حشوا مجرى عين الفعل المحضة فى غالب الأمر ، المرفوعة عن حال الطرفين من الحذف ، ألا ترى الى كثرة باب عدة وزنة وناس والله فى أظهر قولى سيبويه ، وما حكاه أبو زيد من قولهم لاب لك ، وويلمه ويايا المغيرة ، وكثرة باب يد ودم وأخ وأب وغد . فهذا يدل على ضمهم بحروف المعانى وشحم عليها ، حتى قدموها عناية بها أو وسطوها تحصينا لها ) (٣٩) والحجة لهذا قيام الوحدة الصوتية مقام الأخرى كما تقوم اللفظة مقام الأخرى والجملة مقام أختها (٤٠) .

هذه النظرة العميقة والدقيقة لأصوات اللغة سبق بها

(٣٩) الخصائص ج ١ ص ٣٣٥ .

(٤٠) انظر باب تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والبنى ج ٢

ص ١١٣ و ( فى استعمال الحروف بعضها مكان بعض ) ج ٢ ص ٣٠٦

الخصائص .

علماء اللغة العرب لغويي الغرب ، فقد غاصوا في أعماق اللغة فاستخرجوا هذه الكنوز التي تشهد بعبقريتهم وسبقهم في هذا المضمار ، ولو أننا أنعمنا النظر فيما كتبه علماء اللغة الغربيين في درس الأصوات لوجدناه ترجمة صادقة لما كتبه لغويو العرب القدامى في هذه العصور الخوالي بدون اعتماد على معامل صوتية أو تجارِب عملية .

## المصادر والمراجع

- ١ - إحصاء العلوم لأبى نصر الفارابى - مطبعة السعادة بمصر ١٩٢١ م .
- ٢ - أخبار النحويين البصريين السيرافى - المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٢٦ م .
- ٣ - أسباب حدوث الحروف لابن سينا - القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- ٤ - أسرار العربية - أبو البركات الانبارى - مطبعة الترقى دمشق ١٩٥٧ م .
- ٥ - الأصوات اللغوية - د/ ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية طبعة ١٩٩٠ م .
- ٦ - انباه الرواة على انباه النحاة - القفطى - دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ .
- ٧ - ايضاح الوقف والابتداء - محمد بن القاسم الانبارى - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٩٧١ م .
- ٨ - البحث اللغوى عند العرب - د/ أحمد مختار عمر - دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ٩ - تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين - جورج فونين - ترجمة بدر الدين القاسم وزارة التعليم العالى - دمشق ١٩٧٢ م .
- ١٠ - الحجة فى علل القراءات لأبى على الفارسى القاهرة: ١٩٦٥ م .



- ١١- الخصائص - لابن جنى - دار الكتب المصرية .
- ١٢- الرعاية لتجويد القراءات - مكى بن أبى طالب .
- ١٣- سر صناعة الاعراب لابن جنى - القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٤- العربية الفصحى - هنرى فليش اليسوعى تعريب  
د / عبد الصبور شاهين - الطبعة الأولى بيروت .
- ١٥- علم اللغة - مقدمة للقارئ العربى - د / محمود  
السعران - دار الفكر العربى .
- ١٦- علم اللغة العام ( الأصوات ) د / كمال محمد بشر -  
دار المعارف - الطبعة الثانية ١٩٧١ م .
- ١٧- فى اللهجات العربية - د / ابراهيم أنيس مكتبة الأنجلو  
المصرية - الطبعة الرابعة .
- ١٨- كتاب سيويه - طبعة بولاق ١٢١٦ هـ .
- ١٩- المخصص لابن سيده - مطبعة بولاق ١٣١٨ هـ .
- ٢٠- من أسرار العربية د / ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو  
المصرية القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٢١- النشر فى القراءات العشر - لابن الجزرى - مطبعة  
التوفيق دمشق ١٣٤٥ هـ .

## المراجع الأجنبية

1 — An outline of English phonetics - Dr. Daniel jones.  
ninth edition Cambridge. W. Heffer n Sons.

2 — Th Encyclopaedia Britannica and The American  
Encyclopaedia.

3 — Th Linguistic Sciences and Language teaching - MAK  
Halliday, Angus McIntosh, peter Stevens, Longmans Linguistics-  
Library 1966.

4 — Thd Phoneme, its nature and use Dr. Danial jones.  
Heffer, Cambridge 1950.

5 — Ward, ida The Phonstico English. Cambridge. W. Heffer  
and Sons